

مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(رومية ١٥: ١-٧)

يا إخوة يجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل وهن الضعفاء ولا نرضي أنفسنا* فليرض كل واحد منا قريبه للخير لأجل البنيان* فإن المسيح لم يرض نفسه ولكن كما كتب تعبيرات معيريك وقعت علي* لأن كل ما كتب من قبل إنما كتب لتعليمنا ليكون لنا الرجاء بالصبر وبتعزية الكتب* وليعطكم إله الصبر والتعزية أن تكونوا متفقي الآراء فيما بينكم بحسب المسيح يسوع* حتى إنكم بنفس واحدة وفم واحد تمجدون الله أبا ربنا يسوع المسيح* من أجل ذلك فليأخذ بعضكم بعضاً كما اتخذكم المسيح لمجد الله.

كتابا الإنجيل

والرسائل

بعدما تكلمنا على الكتب الليتورجية العامة والخاصة نصل إلى كتابين غاية في الأهمية وخصوصاً في خدمة القديس الإلهي هما كتابا «الإنجيل الطقسي» و«الرسائل».

يشكل المقطع الإنجيلي والرسائلي محورا هاماً في القداس الإلهي حيث أن موقعهما هو وسط خدمة القداس، وهذا يرمز إلى أن كلمة

الرب هي الركيزة الأساسية والمحورية للإجماع الليتورجي القائم، إلى جانب تناول جسد الرب ودمه. تظهر أهمية «الكلمة» في القداس أيضاً بتخصيص مكان الوعظ بعدها تماماً، إذ تتناول العظة، أو جزء منها، تفسير ما ورد في الرسائل والإنجيل بغية إيصال الرسالة الإلهية بشكل مبسط ويرتبط بحياتنا اليومية وبالعلاقة القائمة بين المؤمنين والله.

كثيرون يتساءلون عن كيفية انتقاء المقاطع التي تتلى على مسامعنا إن من الرسائل أو

الإنجيل. هذا الأمر سهل، إذ إن كنيسةنا المقدسة عملت على تقسيم الإنجيل الشريف إلى مقاطع بحسب اليوم أو الموسم أو بحسب العيد. فكما وجدنا في كتب «السواعي» و«الميناون» تقسيماً يتبع أيام الأسبوع بحسب الروزنامة، هكذا هي الحال أيضاً مع الرسائل والإنجيل، فليس على القارئ أو الكاهن سوى معرفة تاريخ اليوم أو معرفة ترتيب الأسبوع بالنسبة إلى

التقسيم الليتورجي. يبدأ كتابا الرسائل والإنجيل من أحد الفصح المجيد وينتهيان بسبت النور. ونجد في هذين

الكتابين نوعين من التقسيم: الأول بحسب الموقع الليتورجي للنهار الذي نقيم فيه قداساً إلهياً (مثلاً: الإثنين من الأسبوع الثالث بعد العنصرة...)، والثاني بحسب تقويم الروزنامة ابتداءً من شهر أيلول (بدء السنة الطقسية في الأول من أيلول).

يُذكر أن التقسيم اليومي للمقاطع الإنجيلية والرسائل مرتب بحيث أنه تتم قراءة الأناجيل الأربعة وأعمال الرسل والرسائل مرة كل سنة. فمثلاً نقرأ من إنجيل يوحنا من أحد الفصح إلى العنصرة، ومن إنجيل متى من الإثنين العنصرة إلى الأحد الأول بعد

العدد ٣١/٢٠١١

الأحد ٣١ تموز

تقدمة تزييح الصليب الكريم المحيي
تذكار القديس أفدوكيمس الصديق

اللحن السادس

إنجيل السحر السابع

الإنجيل

(متى ٩: ٢٧-٣٥)

في ذلك الزمان فيما يسوع مجتازاً تبعه أعميان يصيحان ويقولان ارحمنا يا ابن داود* فلماً دخل البيت دنا إليه الأعميان فقال لهما يسوع هل تؤمنان أنني أقدر أن أفعل ذلك. فقالا له نعم يا رب* حينئذ لمس أعينهما قائلاً كمايمازيكما فليكن لكما. فانفتحت أعينهما. فانتهرهما يسوع قائلاً أنظرا لا يعلم أحد* فلماً خرجا شهراه في تلك الأرض كلها* وبعد خروجهما قدّموا إليه أخرس به شيطان* فلماً أخرج الشيطان تكلم الأخرس. فتعجب الجموع قائلين لم يظهر قط مثل هذا في إسرائيل* أمّا الفريسيون فقالوا إنه برئيس الشياطين يخرج الشياطين* وكان يسوع يطوف المدن كلها والقرى يعلم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت ويشفي كل مريض وكل ضعيف في الشعب.

عمل نقوم به بلياقة وبحسب ترتيب. ومتى تجدر اللياقة والترتيب أكثر مما في الصلاة والحديث مع الرب؟!

لقد طبعت الكنيسة الأورشليمية الإنجيل والرسائل باللغة العربية منذ العام ١٨٦٥ وأخذت عنها المطابع في البلدان العربية هذا النص ونشرته بين أيدي المؤمنين العرب. لقد جاهدت كنيستنا في سبيل تأمين كلمة الرب بلغة نستطيع قراءتها وفهمها، ولكن السؤال الأهم هو: هل نقرأ الإنجيل والرسائل على الدوام؟ هل نغذي روحنا بالطريقة نفسها التي نعامل أجسادنا بها؟ إن كلمة الرب هي غذاء لنا وهي المصباح لخطانا والنور لسبُلنا على حسب قول النبي داود. إن كنا لا نقرأ ولا نسمع كلمة الرب متى كنا في الكنيسة، فعلينا أن نبدأ الآن، لأنه طالما نحن أحياء ليس شيء متأخراً ولكن متى متنا حينئذ يكون قد فات الأوان. إذا فلنستفد قدر الإمكان ولنقسّم وقت فراغنا بين كلمة الرب والأنشطة الدنيوية التي نقوم بها (من تلفاز وكمبيوتر ومحادثات غير نافعة...) معطين كلمة الرب المركز الأول في حياتنا، سامعين إياها وحافظينها وفاعلين بها، فالرب أهم من أي زعيم على هذه الأرض، فهل نسمع كلام المخلوقين وننبد كلمة الخالق؟!

مكانة الأسرار

في الكنيسة

يرتبط سرّ التدبير الإلهي بظهور الله للإنسان، ولكن لا ينحصر التدبير الإلهي في الخليقة وفي التاريخ في الإخبار بما يختص

عيد الصليب في ١٤ أيلول، ومن إنجيل لوقا من الإثنين بعد الأحد الأول بعد عيد الصليب حتى بداية فترة التهيئة للصوم الكبير، ومن إنجيل مرقس في فترة الصوم الكبير المقدس. أما كتاب الرسائل فيبتدئ بكتاب أعمال الرسل من الفصح إلى العنصرة، ومن الإثنين العنصرة وصاعداً نقرأ من رسالة رومية بالتدرج إلى الرسائل الأخرى.

إلى ذلك، نجد في كتاب الإنجيل الطقسي ١١ مقطعاً إنجيلياً تختص كلها بحدث القيامة المجيدة ونقرأها في صلاة سحر الأحاد. هذه المقاطع تدعى «أنجيل الإيوثينا» وهي مقاطع من الأناجيل الأربعة تتعلق كلها بالقيامة وبظهور المسيح للنسوة وللتلاميذ بعد القيامة. يقرأ إنجيل الإيوثينا في منتصف خدمة صلاة سحر الأحاد، فيقف الكاهن عن يمين المائدة المقدسة قارئاً الإنجيل المتحدث عن القيامة مثلاً الملاك الذي بشر بالقيامة عند القبر. ثم بعد الإنجيل نتلو «إذ قد رأينا قيامة المسيح...» مؤكداً على خبر القيامة.

إضافة إلى ذلك، نجد في كتابي الإنجيل والرسائل مقاطع تقرأ في تذكارات القديسين (مثلاً: في تذكارات أنبياء، رسل، شهداء، أبرار...)، ومقاطع تقرأ في مناسبات كنسية مختلفة (مثلاً: في تدشين كنيسة، في عرس، في جناز، في معمودية...)، كما نجد مقاطع من الإنجيل والرسائل خصصت لبعض القديسين الكبار في الكنيسة ولأعياد الرب يسوع ووالدة الإله.

هكذا رتبت كنيستنا المقدسة قراءة العهد الجديد (الأناجيل والرسائل) بشكل منظم عملاً بوصية الرسول بولس بأن يكون كل

تأمل

«ليكون لنا الرجاء

بالصبر».

قد تقول لي إنك تعيش دائماً في الإحتياج والبؤس. أنظر عندئذ فقيراً تقياً، أو عاجزاً تقياً، أو بائساً تقياً، وتعلم منهم شكر الله. كما أن أولئك لا يغيضون ولا يبأسون ولا يجدفون بل يحملون صليبهم بصبر، إحمل أنت أيضاً صليبك، ولا تنس طبعاً أن كل ما يحدث لك، هناك أسوأ منه. هل حرمت من عينك؟ ثمّة آخر أعمى بالكلية. هل تعاني أنت من مرض مزمن؟ ثمّة آخر يعاني من مرض مميت. هل فقدت ولدك؟ ثمّة آخر خسّر ولديه الإثنيين. هل أصبت بخسارة كبيرة؟ ثمّة آخر وصلت به الحال إلى أن يتسول في الشوارع. ألا تكفيك هذه؟ فكر إذا بأيوب، برج الصبر غير المتزعزع الذي وصل إلى أن يكون أكثر فقراً. حتى الفقراء جداً أيضاً لديهم سقف، بينما هو بقي في العراء، والفقراء لديهم ثوب بينما هو كان عرياناً. هو الذي غرق في الحزن النفسي الأعمق، إذ كان لديه عشرة أولاد وفقدهم كلهم في لحظة واحدة. هو الذي أصيب بمرض رهيب جداً، وامتلاً جسده كله قروحاً ممتلئة ديداناً. إن واحدة فقط من هذه

بمصير العالم وحياة البشر، بل هو يؤدّي إلى تحقق الوجود، وإلى تماسك الوجود، وإلى إحالة الوجود إلى حالة «الوجود الحسن»، بحسب تعبير القديس مكسيموس المعترف، أي إلى «القداسة» و«التأله».

هذا ونستطيع تعريف التدبير الإلهي بأنه إغناء مستمر للخليقة بنعمة الله من جهة، والمشاركة المستمرة للكائنات المخلوقة في الصلاح الإلهي من جهة ثانية. الله يخرج إلينا بواسطة القوى الإلهية، أما نحن فنحصل على هذه القوى الإلهية من خلال الأسرار في الكنيسة.

عندما نتكلم على إغناء للإنسانية واشتراك في الصلاح الإلهي نقصد تحولاً كيانياً. كل كيان الإنسان معني بهذا التبدل، وهذا واضح في الكتاب المقدس: «قلبي ولحمي يهتفان بالإله الحي» (مز ٨٣: ٢). فالمقصود هو قوة الحياة الإلهية وتفعيلها في كيان الإنسان. والأمر يختص بعلاقة حيث الإله غير المخلوق يهب، والكائن المخلوق يتلقى الصلاح الإلهي. هذه هي العلاقة السرية لله في العالم.

لذا فإن أسرار الكنيسة ليست مجرد طقوس بل هي علاقة إعطاء وتلق، علاقة تقوم بشكل واضح وواقعي جداً على القوى الإلهية التي توجد الخليقة، وتحافظ على وجودها، وتغني وجودها، فتستمر في تكشّفات سرّ الخلق. الأسرار، من حيث هي استعلان لعلاقة الله بالمخلوق، تبدو في الكنيسة من خلال أعمال وخدم وعبادات لجسد المسيح التي تكمل نمو أعضاء الجسد واشتراكها في الحياة الإلهية، حياة الله، وتالياً اشتراكها في المعرفة الإلهية.

والأسرار كلها تقوم على أحداث

تاريخية. مثلاً سر الإندراج في الكنيسة أي المعمودية، لم يكن ممكناً لولا تجسد المسيح وموته على الصليب وقيامته. الأمر ذاته يقال على الإفخارستيا، إذ لولا العشاء السري وتقديم المسيح جسده لما وجد هذا السر. سر الميرون ما كان لو لم تتميّز الطبيعة الإنسانية بحلول ملء اللاهوت فيها بتجسد المسيح. ينطبق الأمر ذاته على سر الكهنوت، لولا ذبيحة المسيح لبقينا في الكهنوت اليهودي. وكذلك سر الزواج، لولا أن المسيح اتحد بالطبيعة البشرية لما كان سر الارتباط الطبيعي للرجل بالمرأة مسكناً للنعمة الإلهية...

في السر لدينا دائماً حقيقة وحياة متجسدتان. لهذا نجد في الكنيسة أن لكل سر عناصره المادية التي تعبر عنه، عناصر مادية تتقدس وتتجلى. وبالتالي تقوم الكنيسة على بنية تحتية (قوانين الخدمة، الأيقونات، الألبسة الكهنوتية...) لا تتخذ معناها إلا بنعمة الله. وعلى هذا الأساس فسّر آباء قديسون، مثل القديس إغناطيوس الأنطاكي، حياة الكنيسة على أنها تجنّد وانتصار مستمران للخليقة ضد كل القوى التي تفسدها. وفي نهاية المطاف هذا الانتصار هو شفاء واقع الإنسانية المخلوق، لذلك فإن البنية الأسرارية لجسد الكنيسة تؤدّي إلى هذا الشفاء وإلى هذا الانتصار.

يفهم اللاهوت الأرثوذكسي الأسرار من حيث هي استعلانات وتكشّفات لجسد المسيح الواحد. مثلاً سرّ الإفخارستيا ومنذ زمن الجماعة المسيحية الأولى (القديس إغناطيوس الأنطاكي) يعني إلتمام جسد الكنيسة وطرد القوى الشيطانية، وهو أيضاً استذكّار لعمل المسيح منذ بدء الخليقة إلى موته والمجيء الثاني (رؤ

المصائب لا تُحتمل، فُكِّر أنت بأيِّ إنسان فولاذي يمكنه أن يحتمل كلَّ هذه معاً من دون أدنى مساعدة إنسانية؟ تعلم أننا كلنا لدينا إنسان يعزينا في ساعات الألم، لكنَّ أيوب لم يكن لديه أحد، بل على العكس، فقد شرب كأساً مرّةً، كما قلت سابقاً، بخيانة أصدقائه ووجود من أحسن إليهم، وغضب زوجته ويأسها، وطعن أبناء بلدته وسخريتهم.

بعد هذه كلها، يمكنك أن تشعر بعظمة نفس أيوب الذي باحتماله ما لا يحتمله إنسان آخر في العالم، لم يقل شيئاً مما يتفوه به عادة ضعاف النفوس: «هل لهذا السبب علمت أولادي الفضيلة وخوف الله لكي أحرم منهم قبل أو انهم ظلما؟ هل لهذا السبب كنت أرحم الفقراء وأساعد البائسين لكي أفقد كلَّ ممتلكاتي؟ لهذا السبب كنت أكسو العرأة وكنت أعضد المرضى لكي أضطجع الآن عريانا ومريضاً على الروث؟ هكذا يكافئني الله على كل الصالحات التي فعلتها؟». لم تخرج من فم أيوب مثل هذه الكلمات، بل بدلاً من هذه قال ما هو أسمى من كلِّ تضحية: «الرب أعطى والرب أخذ فليكن اسم الرب مباركاً» (أي ١: ٢١).

القديس يوحنا الذهبي الفم

٢٢: ١-٣، و ١ كو ١١: ٢٥). الأمر لا يتعلق هنا بإتمام طقس عبادي بل بإحياء وتفعيل عمل خلق وإعادة خلق متكاملين.

كل الليتورجيات التي تشكلت، حتى القرن الرابع، شددت على هذا الأمر، كما أن الآباء الذين أتوا بعد القرن الرابع شددوا على هذه الخاصية للسر والتي تمتد إلى كل استعلانات حياة جسد المسيح في الأسرار. من هنا نفهم أن القديس نيقولاوس كاباسيلاس في القرن الرابع عشر لم يعط أي تعريف للأسرار بل أصر على حدث أن «الكنيسة، من حيث هي جسد، تتحقق وتستعلن في الأسرار». وصف القديس كاباسيلاس الأسرار بأنها «كالأوصال للقلب» و«كالأغصان للشجرة» و«كالدرجات في السلم». وفي مواضع أخرى سمى الأسرار «منافذ يدخل منها شمس العدل». تدخل النعمة المؤهلة فتجلي الواقع المخلوق وتفعّل كل التكتشفات السرية لجسد المسيح، وهذا متعلق بشكل أساس بشركة الكنيسة: «حيث اجتمع إثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم» (متى ١٨: ٢٠). كنيسةنا تشدد على أن الكاهن لا يستطيع إقامة أي من الأسرار بمفرده، إذ لا يتم السر إلا بوجود الشعب. حيث يجتمع المؤمنون ويحضر الرب وتنجلي النعمة يكون السر.

كنيسةنا الأرثوذكسية، لغاية القرن الرابع عشر، لم تحصر عدد الأسرار بالعدد سبعة لأن كل عمل تقديسي ننال عبره نعمة الروح القدس هو سر. كل الأسرار هي تعبير عن حياة الكنيسة في الروح القدس وهي وصف لفعل

النعمة في الكنيسة. أما عندما وصف القديس نيقولاوس كاباسيلاس أسرار الكنيسة على أنها «أغصان» أو «درجات» فكان يتكلم على تشعب وليس على تعداد، فالعدد سبعة أدى إلى كثير من سوء التفسير والفخاخ اللاهوتية، كتحوّل الأسرار إلى طقوسية عشوائية...

في النهاية، نقول إن حد الأسرار بالعدد سبعة دخل شرقنا، في القرن الرابع عشر، بتأثير من الغرب عبر الحملات الصليبية. أما بالنسبة للاهوت الأرثوذكسي فالسر هو واحد، «سر التقوى» الذي تكلم عليه بولس الرسول في رسالته الأولى إلى تيموثاوس «وبالإجماع عظيم هو سر التقوى: الله ظهر في الجسد، تبرر في الروح، تراءى لملائكة، كرز به بين الأمم، أو من به في العالم، رُفع في المجد» (١ تيمو ٣: ١٦).

صوم السيدة

يوم الإثنين الواقع في الأول من آب يبدأ صوم السيدة الذي ينتهي في ١٥ آب ذكرى رقاد سيدتنا والدة الإله. خلال هذا الصوم نمتنع عن أكل اللحم والسّمك والحليب ومشتقاته. وتقام مساء كل يوم من أيام الصوم خدمة صلاة البراكليسي (التضرع لوالدة الإله) في كافة كنائس الأبرشية.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعياً على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb